إسرائيل بعد فوز كاديما: قراءة في التحولات

بلال الشوبكي*

■ انسحاب من قطاع غزة، وآخر جزئي من الضفة، حزب جديد على الساحة، والجدار ما زال مستمرا. بهذه الوقائع تطرق إسرائيل أبواب الحكومة الجديدة. تطرقها وضجيج التساؤلات يحيط بها من كل جانب، فإلى أين تسير إسرائيل؟ أإلى حلم جديد يعبر عن تغير أيديولوجيتها؟ أم إلى ذلك القديم وإن بتغيير وسائلها؟ هل ما استجد من تطورات على الساحة الإسرائيلية مثير للغرابة؟ أم أن الاستغراب مما يجري هو الأكثر غرابة؟

نعم.. بنت إسرائيل الجدار، وانسحبت من غزة، وتمخضت «فولدت كديما»، هل ملّت إسرائيل ضربات المقاومة؟ أم باتت تجهز لفصل جديد من الصراع معها؟ تعالت الأصوات التي تقول تغيرت إسرائيل، لكن أيا منها لم يقل كيف تغيرت ولماذا؟ قالوا تغيرت وكفى...

هل تخلت إسرائيل عن طموحها وحلمها، بأرض إسرائيل الكبرى، وهل خروجها من غزة يدلل فعلا على ذلك؟! هل تنازلت إسرائيل عن تاريخها المزعوم؟ هل اكتفت بهذا الغيتو داخل الجدار؟ أمن الممكن أن يكون فوز كاديما ميلادا لمنطلقات أيديولوجية جديدة؟ أم هو الطريق الجديد نحو القديم؟

الكثير من المحللين حاولوا تفسير ما يجرى في إسرائيل على أنه تغير جذري يعود بنا إلى الصهيونية، وما تدعو له من تحقيق حلم إسرائيل الكبرى، والأساطير اليهودية التي حاولوا الترويج لها على مدى قرون مضت، فالحكم على التطورات الجديدة في إسرائيل على أنها تغير استراتيجي ونكوص عن الحلم الصهيوني، يلغي مئات السنين من العمل الصهيوني من أجل فرض وقائع على الأرض تجعل من أساطيرهم حقائق مقبولة من قبل الشعوب الأخرى.

لذلك فإن اعتبار التطورات الأخيرة في إسرائيل لا تصب في خدمة الأهداف الصهيونية، أو أنها تعبر عن تحول أيديولوجي تغفل في واقع الأمر عدة نقاط:

1ـ إسرائيل دولة دون تاريخ، فقد شهدت خروجا من التاريخ قرابة الألفي عام، وهذا يعني ضرورة تمسك إسرائيل بتاريخها المزعوم، إذ أن أي خطوة من قبلها للتراجع عن ادعاءاتها الصهيونية، تعني نفيا لكل تاريخها، وبالتالي أحقيتها في أرض «إسرائيل».

2ـ انسحاب إسرائيل من أراض فلسطينية لا يعني أنها تخلت عن أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، لان في ذلك إقرارا منها بأنها دولة استعمارية.

3ـ هذا بالنسبة للانسحاب أما بالنسبة للجدار، فبالرغم من أنه يؤيد التفسير السابق الذكر من أن إسرائيل تتغير جذريا إذا ما فسر الجدار على أنه حدود سياسية، لكن تفسير إقامة الجدار من وجهة نظر تاريخية، يعطينا تأكيدا على تمسك إسرائيل بأساطيرها، فالجدار لا يمكن فهمه تاريخيا إلا ضمن أسطورة شعب الله المختار الذي يرفض التعامل مع الأغيار، (غير اليهود).

وهذا الرأي بشأن عدم إمكانية تخلي إسرائيل عن أساطيرها، جاء بشكل أكثر تفصيلا في كتاب الدكتور محمد أحمد النابلسي، بعنوان «سيكولوجية السياسة العربية، العرب والمستقبليات». حيث يفرد لهذه القضية جزءا خاصا يعالج فيه إمكانيات التحول في النهج الإسرائيلي، ليتوصل إلى أن إسرائيل لا يمكن لها التراجع عن أي جزئية من أساطيرها، لان ذلك يعني التشكيك في كل ما تدعيه.

ومما يضعف أيضا من وجهة النظر التي ترى في التطورات الأخيرة في إسرائيل تغيرا أيديولوجيا، هو ما سنورده من تدعيم لوجهة النظر القائلة ان المستجدات الأخيرة على الساحة الإسرائيلية، إنما هي في حقيقة الأمر لا تتجاوز التحول التكتيكي في طريقة التعامل مع قضية الصراع في المنطقة، وأسلوب العمل من أجل تحقيق أهداف إسرائيل.

فبالرغم من حدة التغيرات الإسرائيلية الأخيرة، والتعاطي مع تفسيرها بنوع من الدهشة والحيرة نتيجة لخروج إسرائيل عن الخط التقليدي في التعامل مع أطراف الصراع، إلا أن ما جرى يمكن فهمه وتفسيره من خلال المنطلقات الآتية:

أولا: تغير مفهوم الأمن القومي: يمر مفهوم الأمن حاليا بمنعطفات جديدة تحمّل هذا المفهوم معاني جديدة، هذه المنعطفات إنما تأتي كتعبير واضح عن دخول لاعبين جدد في المشهد الدولي، إذ أن احتكار الدولة القومية بدور المؤثر في تشكيل معالم الوضع الدولي لم يعد قائما، وهذا ما أدى إلى دخول عناصر جديدة كمهدد لأمن الدول غير ذلك الخطر المتمثل بالدول المماثلة.

هذه التطورات التي وسّعت من مفهوم الأمن ليضم جوانب أخرى جعلت منه مفهوما إنسانيا، وعالميا، أدى إلى اتباع الدول طرقا جديدة للحفاظ على أمنها القومي، فلم يعد الحفاظ على الحدود هو تحقيق الأمن، ولم يعد الخطر العسكري هو التهديد الوحيد لأمن الدول، هذا ما دفع الكثير من الدول لتغير من استعداداتها الأمنية، وأساليبها التقليدية في الحفاظ على مصالحها، وتحقيق أمنها بشكل عام. ما نريد الخلوص له من وراء الإشارة لتغير مفهوم الأمن القومي، والذي لا مجال لذكر أسبابه الآن هو أن ما حدث مؤخرا من تغيرات غير تقليدية في العمل السياسي الإسرائيلي، لا يمكن فهمه بمعزل عن ما يشهده العالم اليوم من تعاط جديد مع مفهوم الأمن، وما يمكن أن يشهده في تعاطيه مع مفهوم الدولة مستقبلا، والتي بالرغم من تقدير معظم الخبراء على أنها ستبقى المؤسسة الأهم حتى في ظل التغيرات العالمية الجديدة، إلا أن وظائفها ستطوع وتكيف تبعا لهذه التغيرات وهذا ما أشارت له الباحثة في العلوم الاجتماعية والإعلام ليلى حلاوة في إحدى كتاباتها بعنوان «السيادة.. جدلية الدولة والعولمة».

فإسرائيل أيقنت أن أمنها بالمفاهيم الجديدة، لا يمكن تحقيقه، في ظل الانعزال عن محيطها الإقليمي، بل إن انخراطها في محيطها الإقليمي ومن ثم العالمي هو الأداة الأكثر فاعلية للحفاظ على الأمن والمصالح التي تعدت حدود الدولة القومية، فالاعتمادية المتبادلة بين الدول وخاصة في المجالات الأمنية، تجعل من غياب تواصل الدولة مع فضائها الإقليمي تهديدا لأمنها، فكيف لإسرائيل التغاضي عن ذلك؟

ثانيا: حاجة إسرائيل إلى المقبولية العربية والإسلامية: ربما يكون التشابك قويا بين هذه الجزئية وما سبقها، إلى الحد الذي يصعب الفصل بينهما، فالحاجة إلى تحقيق الأمن بمفهومه الشامل، تتطلب كما أشرنا انخراطا في المحيط الإقليمي، لكن هذا يتطلب مسبقا تحقيق المقبولية من قبل الإقليم المحيط والاعتراف بشرعية الوجود ككيان طبيعي، وهذا ما يمكن على أساسه تفسير ما أقدمت عليه إسرائيل ـ على يد مؤسسي حزب كاديما الفائز ـ من انسحاب من غزة وما يطرح حول احتمالية انسحابها من أجزاء أخرى من الضفة، فبالرغم من أن للمقاومة الفلسطينية دورها الفاعل في الانسحاب الإسرائيلي، إلا أن إسرائيل استثمرت خسارتها هذه، فحاولت تحقيق المكاسب السياسية والدبلوماسية، كمكافأة لها على تنازلها.

وبالرغم من أن إسرائيل عملت منذ عقود على استغلال أي فرصة تحمل في طياتها لإقامة روابط وعلاقات مع دول إسلامية وعربية، إلا أنها لم تنجح بشكل كامل في ذلك، مما دفعها إلى تغيير أسلوبها في ذلك، فبدلا من انتظار الفرص من أجل بناء العلاقات مع الدول العربية والإسلامية، تقوم إسرائيل حاليا بخلق الفرص من خلال ما أقدمت عليه من انسحاب صورته بالتنازل من جانبها من أجل السلام والاستقرار، ومقدمة هذا الانسحاب للدول المحيطة كي تجد هذه الدول مبررا للتعامل مع هذا الكيان على الأقل أمام شعوبها.

وما يدلل على ذلك هو الحملة الدبلوماسية المكثفة التي قامت بها وزارة الخارجية الإسرائيلية بقيادة سلفان شالوم، والتي صبت كل اهتمامها على خلق علاقات جديدة مع الدول الإسلامية، وهذا تزامن مع فترة الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة، فقد بينت وسائل الإعلام حينها اللقاءات التي جمعت بين مسؤولين إسرائيليين وآخرين من باكستان وماليزيا وإندونيسيا، وهذا يحقق لإسرائيل عدة مكاسب، منها التخفيف من أثر حملاتها القمعية ضد الفلسطينيين على المستوى الإسلامي، وبما أن جزءا هاما من القضية الفلسطينية، ذو صلة وثيقة بالمسلمين وخاصة فيما يتعلق بمدينة القدس، فإن إقامة علاقات جيدة مع الدول الإسلامية، قد يساعد إسرائيل في التعامل مع هذه القضايا، إضافة لفتح المجال أمام علاقات تجارية متميزة مع دول كبيرة مثل اندونيسيا.

وبالنسبة للفوز الذي حققه حزب «كاديما» فهو تعبير واقعي عن تغير الأساليب الإسرائيلية وليس الأهداف، فمؤسسي الحزب أيقنوا ضرورة إنشاء مؤسسة جديدة تكون الإطار الذي من خلاله ينطلقون بالنهج الجديد، وما يؤكد أن الحزب الجديد هو وسيلة لأشخاص بارزين وليس تعبيرا عن تحول أيديولوجي لهؤلاء، هو ضم الحزب الجديد لأعضاء من أحزاب مختلفة أمضت عقودا وهي في تنافس، (الليكود والعمل) لكن بالرغم من انضمامهم لكاديما فما زال ينظر إليهم على أنهم في أحزابهم السابقة، وهذا ما هو حاصل مع بيريس. كما أن الفترة البسيطة التي اقتضاها إقناع بيريس للدخول في الحزب الجديد تؤكد أن الحزب الجديد لم يؤسس على تغير أيديولوجي.

أما بالنسبة لطموح أولرت ومؤيديه بتغيير نظام الانتخابات كي يتمكن الإسرائيليون من اختيار رئيس الوزراء مباشرة، هو عدم إمكانية السير وفق النهج الجديد في ظل ابتزاز الأحزاب الصغيرة للأحزاب الكبيرة، فالحاجة دائما لائتلافات من أجل تشكيل حكومة، تقيد الحزب الفائز، وهذا ما يلاقي حاليا انتقادا واسعا من قبل الأكاديميين والنخب في إسرائيل، لأن في النظام الحالي كما يؤكدون إعاقة لتحقيق المصلحة العامة من قبل أقليات سياسية.

ثالثا: طموح إسرائيل أن تكون لاعبا رياديا على الساحة العالمية: ما يؤكد طموح واهتمام إسرائيل وحلفائها بتحولها إلى لاعب ريادي على المستوى العالمي هو المشاريع الجديدة التي قدمت لإعادة هيكلة الشرق الأوسط، مثل المشروع المتوسطي ومشروع الشرق الأوسط الكبير، حيث يلتقي المشروعان في تحويل إسرائيل إلى كيان طبيعي داخل منطقتها العربية والإسلامية، لكن ما يميز مشروع الشرق الأوسط هو تحويل إسرائيل إلى دولة رائدة وقيادية في محيطها، كممهد لانطلاقها على المستوى العالمي، والذي بدأ الحديث عنه بضرورة ضم إسرائيل للعضوية الدائمة لمجلس الأمن.

هذه الأهداف الإقليمية والعالمية تتطلب نهجا آخر من إسرائيل، يمكن أن تكون التطورات الأخيرة في إسرائيل جزءا منه، فإسرائيل بحاجة لتقديم شيء ولو كان ظاهريا حتى تخلق المبرر للحكومات العربية والإسلامية كي تتعاطى معها، وانسحابها من غزة وإمكانية انسحابها من الضفة، وان كانا يشكلان نصرا للمقاومة إلا أنه في ظل تغير مفهوم الأمن واحتمالية تراجع دور الحدود، لا يعدان خسارة كبيرة لإسرائيل لأنها وضمن خططها الحالية ستعود إذا ما حققت صفة الكيان الطبيعي في المنطقة، لكن عودتها ستكون بأشكال جديدة تعطي وجودها الشرعية.

لكن إسرائيل ووفقا لتحولها التكتيكي الذي يعبر عن منهج جديد في العمل، ما زالت تلعب على وتر الحكومات مغفلة دور الشعوب في التأثير، لكن ما حدث مؤخرا من تقدم للإخوان المسلمين في الانتخابات التشريعية المصرية، وفوز حماس في التشريعي الفلسطيني، إنما يعبران عن توجه جديد ومكثف من قبل الشارع العربي نحو التغيير لصالح التوجه الإسلامي، وهذا ما يمكن أن يعطل طموح إسرائيل بالتحول إلى عضو يتمتع بالمقبولية في محيطه العربي والإسلامي.

* رئيس قسم الدراسات
في المركز الفلسطيني للديمقراطية والدراسات
b_politics@hotmail.com

معارضة.. أم معارضات سورية؟

زيور العمر*

■ إشكالية المشهد السياسي في سورية، هذه الأيام، تكمن في أنه لم يستقر بعد، على خارطة سياسية واضحة المعالم والأهداف. فكل معارضة سورية، حديثة الولادة، تدق مسماراً في نعش المعارضة التي سبقتها في الإعلان والتوقيت. ظهر هذا الأمر جلياً، على الأقل، في مواقف وردود أفعال رموز «إعلان دمشق للتغيير الديمقراطي في سورية» إثر إعلان جماعة الإخوان المسلمين وعبد الحليم خدام مع بعض القوى الليبرالية والكردية تأسيس «جبهة الخلاص الوطني» في العاصمة البلجيكية بروكسل في السابع عشر من الشهر الماضي.

موقعو إعلان دمشق إستندوا في تحفظاتهم على اجتماع بروكسل من منطلق عدم مشاورة جماعة الإخوان المسلمين لهم، وفيما يتعلق بالتعامل مع عبد الحليم خدام. السيد رياض الترك صرح بوضوح عن شكوكه في شخصية خدام وخلفياته وعبر عن عدم ارتياحه من التحركات الإخوانية بشكل منفرد. وتلمس نبرة صوته في مواقف الآخرين. حيث أكد حسن عبد العظيم المتحدث باسم التجمع الوطني الديمقراطي، تنصل قوى «إعلان دمشق» من «اتفاق» بروكسل. ومن المتوقع أن يتم الإعلان عن الموقف النهائي في الشهر القادم عند إجتماع اللجنة المؤقتة لإعلان دمشق. أما بالنسبة الى القوى الكردية فهي، كالعادة، لم تعلن عن موقفها من إنشاء «جبهة الخلاص الوطني» في بروكسل، بالرغم من الأنباء التي تحدثت عن حضور بعض القوى الكردية في الإجتماع، وذلك لأن العديد منها منضوية في إعلان دمشق، وملتزمة بأجندته المرحلية والمستقبلية.

«إعلان دمشق» في الداخل و«جبهة الخلاص الوطني» في الخارج لم يكونا التحركين الوحيدين في الفترة المنصرمة لاقل من نصف عام وإنما عقد العديد من المؤتمرات والإجتماعات التشاورية كان آخرها، المؤتمر الكردي الذي نظم في إحدى قاعات مجلس الشيوخ الأمريكي في الشهر الجاري، تحت عنوان «الحقوق القومية والإنسانية للشعب الكردي وتحقيق الديمقراطية في سورية»، واسفر عن اتخاذ قرارات مهمة في إتجاه تعزيز الوجود الكردي في المعادلة الوطنية الديمقراطية في سورية، إنطلاقاً من حق الشعب الكردي في تقرير مصيره بنفسه، بما يضمن الإعتراف الدستوري ورفع المظالم العنصرية عن كاهله في إطار، نظام ديمقراطي يكفله الدستور وسيادة القانون. المهم أن هذا المؤتمر كرس أيضاً من جهته، بداية معارضة كوردية، بنفس شعبي كوردي في سورية، الى جانب المعارضات الموجودة، وعكس اختلافاً جوهرياً بين الطيف الكردي مع باقي التيارات السورية، التي تمتلك رؤية محددة لحل القضية الكردية في سورية، تتمثل في إطار المساواة في المواطنة، وليس على اساس الإعتبارات التاريخية والجغرافية، كما يطالب بها الكورد في سورية.

بيد أن تكاثر المحاور والجبهات المعارضة في سورية لم يأت من عدم أو من فراغ، كما يقال، وإنما هو وليد ونتاج مناخ سياسي تشكل على امتداد عقود، يتمثل، أساساً، في غياب الهامش الديمقراطي في تعاطي القوى السياسية السورية مع بعضها البعض، بالإستناد الى إرث موغل في تقاليد الإقصاء وإنكار حق الآخر في التعبير عن آرائه وتصوراته، حيال مستقبل التغيير الديمقراطي في البلاد. مما يعني أن البلاد، وخاصة على مستوى القوى التي تسعى الى التغيير «الديمقراطي» لم تأخذ حصتها من الحوار الوطني، الضروري، كخطوة أساسية للإنطلاق الى مرحلة الصياغات البرامجية وتثبيت البرنامج الوطني للتغيير الديمقراطي، الذي عليه أن يأخذ بعين الإعتبار، مصالح جميع ابناء الوطن السوري وأطيافه.

ولعل إعلان رموز «إعلان دمشق» عن مواقفهم ـ التي تميل للرفض ـ من اجتماع بروكسل، بشكل شخصي ونبرة إنفعالية ودون سابق تنسيق مع القوى المنضوية فيه، شكل دليلاً ساطعاً على غياب طقوس الحوار السياسي، حتى في إطار الطيف أو المحور الواحد، ناهيك على المستوى العام برمته.

إذاً، نحن أمام معارضات سورية، بكل معنى الكلمة، وليست معارضة واحدة، وإن كنا لا نلمس الكثير من الإختلاف والتباين فيما بينها. والحال أن هذا الوضع سوف يترك أثراً في عمل ومستقبل العمل السياسي المعارض في البلاد للمرحلة المقبلة، على اعتبار أن كل تبعثر في جهود توحيد اطياف ومفردات العمل السياسي سوف يخلق، لا محالة، صعوبات إضافية في مواجهة السلطة السياسية القائمة التي تحاول من جهتها الإستفادة من كل خلل يعترض مسيرة تنحيتها سواء في الداخل أو الخارج.

* كاتب كردي من سورية

من الذي اطلق الرصاصة على قلب فتح؟

د. حنان عواد *

■ قد نقول بأن هناك اهمالا داخليا، قد نقول ان هنالك تجاوزات، قد نقول ان هناك رؤيا غير واضحة من قيادة الصف الاول، وقد نقول ان هنالك ساسة صف ثان تجاوزوا الحدود، وانطلقوا صفا اولا، واطلقوا مبادرات وحلولا، قد نقول ان هنالك فوضى تنظيمية واجتهادات اضافت الى الشروخ الاولى شروخا اكبر، قد نقول ان الانتخابات التمهيدية قدمت فتح بشكلها الفوضوي على طبق ذهبي، لمن يريد ان يعبث او يتاجر او يقزم الحركة، حتى يتسنى لاقزام السياسة ان يتطاولوا، قد نقول بأن اختيار المرشحين لم يشترط الشروط الموضوعية والصفات الاولية النضالية والفكرية، حتى يحملها كل مرشح لنفسه قبل ان يوضع اسمه في قائمة، وقبل ان تلتحي الجدران بوابل الصور الورقية والتي لم تحمل في جديتها الصورة الحقيقية التي يقدمها التنظيم في المشاورة وترشيد المرشحين.

قد نقول بأن المستقلين لم يلتزموا، وقد نقول، وقد نقول. ولكني اقول: بأن اول رصاصة اطلقتها «فتح» على قلب «فتح»، هي الصمت عن حصار السيد الرئيس وعن وفاته، لم يبرز صوتها عاليا، لم يكن هنالك تحد، ولم يكن هنالك جهود فتحاوية للضغط الدولي لمواراة جثمان السيد الرئيس في مدينة القدس. بل قام بعض قادة فتح من الصف الثاني، بالاستجابة للرؤيا الاوروبية وبتعليمات الديمقراطية والاصلاح، والتي تحمل في طياتها اجندة الضرب والتحطيم لدرب الرئيس الراحل، ودخول بعض الاشخاص في ارض النفاق في العلاقات التي من شأنها خلق التوتر ما بين القادة، والتجاذب ما بين الاتهام والانسجام، لاغراض خاصة بهم. فتح لم تدافع عن رئيسها ورمزها وقائدها كما يجب، فكيف يكون لحركة جماهيرية تحمل على اكتافها كل طاقات الشعب الفلسطيني ان لا تقول لا؟! كيف يصمت هذا التنظيم العظيم الذي ابتدأ المشروع الوطني والذي يشكل المرافعة السياسية والوطنية للشعب الفلسطيني؟

كيف تقبل فتح ان لا تفتح الملف؟! وكيف تقبل العشيرة او القبيلة والاصدقاء والامراء ورجال الدين سيمفونية الموت المتعمد.. وكيف تقبل «فتح» المزايدة عليها من الآخرين، بشعارات الاصلاح، ونحن الاعلم بأن العديدين يعيشون من الدعم الدولي الخارجي، وميزانياتهم تعادل ميزانية السلطة، او تتفوق عليها، ولا يتورعون عن الوقوف امام الاعلام ليتهموا «فتح» بالفساد، وكأنهم وريقات بيضاء، وبراعم نقاء وطائرات تحلق في مطلقية العدل والكبرياء.

كيف صمتت «فتح» عنهم ولم توقف نزيف الاتهامات المتتالية؟ نحن يسعدنا النقاء، وتسعدنا الشفافية التي هي مطلب فلسطيني شمولي، ويثلج صدورنا حينما يطالب بالشفافية الاتقياء الذين لا تحوم حولهم علامات استفهام كبرى.

كيف صمتت «فتح» عنهم ولم تضع امام كل منهم مرآة عاكسة للوجه العبثي العابث بالفكرة التاريخية؟!

كيف سمحت بالنقد المجرح المبرمج ضمن سياسة تدمير الفكرة، وتقليص المرحلة النضالية السابقة، في مؤتمرات تقييمة هدفها مرصود قبل التقييم، وحينما كان يعقد مؤتمر ويشارك به اعلام الفكر وقادة الصف الاول والثاني، اتساءل ماذا نقرأ ما بين السطور؟!

نحن لا نقبل المزايدة علينا، ونحن الاعلم بواقع ما يجري، فكيف صمتّ يا فتح، وجعلت للرصاصة طريقا سهلا للوصول الى القلب؟!

كلنا نبكي، حتى الاشجار المصطفة في الشوارع تبكي، والطيور المغردة غير المهاجرة تشدو بحزن، حتى النجميات الساهرة تبكي، وامواج البحر الهادئة تستنفر افاقها، ردات فعل.. ردات فعل.

ان «فتح» هي فعل جاد، وليست ردات فعل، فتح قيادة، فتح وجود، فتح اهلية تاريخية، من المسؤول عن سلالم الانهيار، وانتشار القلق، والبعد الانتهازي؟!

فمن المسؤول عن عبثية الانتخابات، من المسؤول عن البعد التجاري الذي صاغته الانتخابات الاولية والتشريعية، من المسؤول؟! من المسؤول عن الضبابية الداخلية، وانطلاقاتها المتعددة، واحساس الجميع ان الحل يكمن فقط في المؤتمر السادس، وكأنما المؤتمر سيعمل على تغيير جذري بالفعل الثوري لفتح، وكأنما المؤتمر سيقلب الموازين، وكأنما فتح، لا تعيش الا بمؤتمر، والديمقراطية الفتحاوية تعتبر منقوصة، اذا لم يتم عقد هذا المؤتمر، اي بتعبير «الحرس القديم» بنسبية المفهوم، وما بين ليلة وضحاها يصبح المرء قديما لا فائدة منه، ولا اهمية لوجوده، وتصبح التعابير والشعارات المتنفذة تسحق الماضي وترش عليه الغبار، وتكيل الاخطاء والخطايا، فتحسب انك لم تكن ثورة، ولم تكن دولة، ولم يكن فعل نضالي ولا سياسي، بل كل فعل اللافعل حسب تعبيراتهم، وتشتد النقاشات والتساؤلات وجلد الذات، واطالة الاتهامات تلو الاتهامات.

المؤتمر السادس ليس هو الحل الوحيد فقط، فكما رأينا ان الانتخابات التمهيدية اعطت افرازاتها النوعية، واطلقت مسؤولية التهاون. واذا اعتبرنا ان المسؤول الاول هو اللجنة العليا الاولى عن الانتخابات والترشيد واختيار الاشخاص، فكيف يتقبل التنظيم كل من يصرح ويحاول الاستقالة ان يوضع اسمه في قائمة، في حين ان الفتحاوي الذي احترم ذاته واحترم فتح لم يتم الالتفات اليه؟ تساؤلات كثيرة يجب ان نقفها مع انفسنا قبل ان نقف امام الاخرين، فمن يحاسب؟ ومن يحقق؟ ومن يدقق؟ فهل تكسرت الاجنحة المحلقة في الصح والصدق؟! وهل تكسرت الفكرة الوطنية على عتبات فكرة الاصلاح؟! وهل يعني الاصلاح مزاجية الرؤيا، وتراكم الاحقاد على بعض الاشخاص، هل يعني الاصلاح (بشحطة قلم) نسف مؤسسات وطنية، واقالة اشخاص، وتغييب اشخاص بحجة التوجه نحو الافضل، دون مراجعة للاشخاص ولا تقدير للدور الذي قاموا به.

وهل يكفي الاصلاح الاخذ بالثأر من البسطاء والوسطاء، في حين ان الكبار لا يطولهم سوى حماية في حماية؟

وهل يعني الاصلاح في فتح، ان تفقأ العين السحرية التي ترى النور في العطاء؟

فتح توضع على المشرحة، هذه المرة لا يضعها اعداؤها او مناوئوها، بل يضعها رجالاتها، ابناؤها وقواها المتعددة، في سلاسل مناقشاتهم ومحاضراتهم وتصويرهم بأنهم يقودون القافلة الى الفعل الامكن، والى الفعل الاقوى في مقويات تبدأ بهم واليهم، وتظل الدائرة.. ويرتقي الاختبار اذا منح احدهم ترقية دون سواهم، فيروا الرجل المناسب في المكان المناسب حينها. وكلما دارت الدائرة تتشكل اللجان تلو اللجان، وتنظر حولك فاذا جهابذة «اللافتح» يصنعون مستقبل فلسطين، ويسحب البساط في وضح النهار.

وهل يعني الاصلاح ان ننسف كل انجازات افراد، قد لا نحبهم.. فمن الذي يقيم ويقوم، وكيف يقيم من هو بحاجة الى تقويم؟

وكيف تستمر بوضع الشعارات الكبرى والخطابات التي تفجر اجهزة الصوت، دعاية للذات وقتلا للموضوع.. وتحت شعار تغيير، تعصف المواقع، وتعقد سيلا من المؤتمرات وورشات العمل التقييمية لمناقشة اوضاع الشعب الفلسطيني ووضع الانتخابات، ووضع السلطة، ووضع التنظيم وما آل اليه، برؤى متناثرة وحركة سير عاصفة تسير باتجاهها، ولا ندري اذا كنا نسير في رمال متحركة، او نتجه الى حلم بعيد المنال، او خطوات قريبة قد تؤدي في النهاية الى رسم صورة مفصلة حول رقاب واعناق عظماء فتح والمناضلين الحقيقيين.

وكيف يشير المرشحون بأنهم حماة الديار، وانهم المنقذون، وانهم المحررون، وانهم الفاتحون الجدد؟!

وكيف يدار اتجاه البوصلة نحو الظلام في ظلال رحلة استحقاقات للدولة؟

يجب ان نتوقف عن الكلام، كشهرزاد في آخر الليل، ليتحول الكلام الى منطق الفعل، تيار الصحوة، تيار الصوت الانقى في رحلة الاحتقان السياسي، الذي توالى على شعبنا منذ الاحتلال، وتفجرت في انتفاضات وعي، لتحقيق حرية غير منقوصة، ولكن الحرية انتقصت بفعل وبردة فعل في عام الانتخابات، فهل تعتبر هذه الانتخابات تشريعية ام تشريحية؟!

لقد تلقينا خبرا عاجلا عاجزا، وكأن الصخرة المرفوعة على الظهور زادت وزنا، ولم تسقط بعد.

هل سنظل نصرخ عبر الميكروفونات في تحليل يؤدي الى تقليل الشأن، وتصغير النهر الاسطوري الذي شقته فتح عبر الصخور، وقوى الظلم، اتراها نزلت عن الجبل؟! وهي بدء الله اكبر؟

دثريني يا روح فتح بانشودة الله أكبر فوق كيد المعتدي. دثريني يا فتح ـ بِفتح ـ لاحمي روحي من الانكسار.

* كاتبة من فلسطين

منظمة إيباك اليهودية.. دولة ضمن الدولة

حمدان حمدان *

■ يتم تفعيل النشاطات اليهودية المؤثرة في وجهة القرار الامريكي الخارجي، بصورة متصاعدة سنة بعد اخرى، وتصف تقارير واردة من واشنطن بأن المؤتمر السنوي لمنظمة ايباك، اي جماعة الضغط اليهودي في الساحة الامريكية، جاء في عامنا هذا اكبر عدديا من اي مؤتمر في تاريخ المنظمة، كما انه تضمن حضورا امريكيا استثنائيا على صعيد مجلسي الشيوخ والنواب، حيث حضر ما يزيد على مئتين من اعضاء المجلسين، من اصل خمسمئة وخمسة وثلاثين عضوا للمجلسين، وهو اكبر عدد من اعضاء الكونغرس بمجلسيه، يلبي دعوة الحضور، وبالنسبة للمجموع العام، فقد زاد على خمسة آلاف مشارك، فيما قرر اربعة آلاف منهم التوجه ـ بعد انتهاء الاعمال ـ الى الكونغرس، طلبا لحشد المزيد من التأييد لاسرائيل، ومن الحيثيات ايضا، ان عديد الطلبة الذين يمثلون اتحادات طلابية وزهاء ثلاثمئة وخمسين جامعة من الولايات الخمسين، قد وصل الى الف ومئتي طالب وطالبة، وقد جلس في ركن مقابل، ستون استاذا جامعيا من خمس وعشرين جامعة تمثل ست عشرة ولاية امريكية، وقد شغل عديد المؤتمر العام (خمسة آلاف) جميع الغرف العائدة لعشرة فنادق كبرى في واشنطن، وفي ملاحظة ثمينة لاحد التقارير عن مؤتمر ايباك، فان نصف الحضور (ما يزيد على الفين وخمسمئة) جاؤوا لحضور المؤتمر لأول مرة.. وهذا يعني ميكانيكيا، بان النشاط اليهودي في امريكا، يرتفع الى الضعف ما بين سنة واخرى.

وكالعادلة، فقد تحدث سيناتوريون من كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي، بمزايدات فاقعة لخطب ود اسرائيل، ومع هذا المقطع، لا بد من ايجاز بعض المقاطع في كلمات ممثلي الادارة والكونغرس في المؤتمر، ونبدأ بنائب الرئيس ديك تشيني: «عدونا لديه نظام عقائدي، وقد رأينا مثله في نظام طالبان، انهم يريدون ان يفرضوا نظاما ديكتاتوريا، يعيش فيه كل رجل وامرأة وطفل، في خوف دائم.. ان عقيدتهم تدعم الكراهية، وترفض التسامح، وتنكر حرية الضمير.. ان الولايات المتحدة تحتفظ بكل البدائل في كيفية الرد على السلوك الايراني غير المسؤول».

واليكم ما قاله المرشح الديمقراطي السابق لمنصب نائب الرئيس السيد جون ادواردز: «يجب ان نعمق علاقاتنا الاقتصادية والعسكرية من اجل ان تحتفظ اسرائيل بتفوق مطلق.. يجب علينا ان نعمل لربط اسرائيل مع حلف الناتو.. ولا بد ان تصبح يوما عضوا كاملا فيه..». وقد طفق ممثلو الكونغرس من زعماء الاغلبية والاقلية، بالدخول في مباريات تنافسية، وكلها تطري وضع اسرائيل، ذلك «الوضع الديمقراطي» الوحيد في المنطقة، مع تنحية السلوك (الديمقراطي) في استباحة الدم الفلسطيني، او في ممارسة عنصرية مرئية، ضد فلسطينيي العام 1948.. ففي نظرة استعلائية، عما ظل يدور في تاريخ المنطقة، ظل المسؤولون الامريكيون منذ مؤتمر الحركة الصهيونية في «بال»، بزعامة ثيودور هرتزل، ينظرون الى فلسطين، على انها ارض بلا شعب، اما الحقيقة المجسدة في الانكار، فانها كانت تكمن في النظرة التوراتية للآخر الغريب، فأمريكا على اعتاب القرن العشرين، كانت قد انتهت من رسم خارطتها بين المحيطين، بل ومارست هيمنتها على القارة الامريكية بمبدأ مونرو، فلا يعقل ان تجهل دولة القرن المضافة الى سجل الاستعمار العالمي، بأن فلسطين تنطوي على ارض وشعب وتاريخ.. وان النسبة اليهودية في فترة التجاهل هذه، لم تكن تتجاوز في احسن الحالات ثلاثة بالمئة من عديد السكان الأصليين، وفي مفارقة تاريخية، فان سجل الوقائع للمنظمة الصهيونية ايام هرتزل، يقول بأن هرتزل اراد القيام بكشف ميداني ـ مخبري لحقيقة مقولته (ارض بلا شعب) فأرسل ثلاثة من رجال الدين اليهودي، فيما مؤتمر بال على وشك الانعقاد، وقد سافر رجال الدين فعلا الى فلسطين وكان الجواب على طريقة الترميز اليهودي:

«لقد عثرنا على العروس حقا، ولكن يا للأسف، فقد وجدناها متزوجة». ولا يخفى على كل ذي عقل عادي، بأن هذا الاقرار، كان يعني ان فلسطين (العروس) متزوجة بشعب له تاريخ طويل وحضارة وهوية، وانه ما زال قائما في الجغرافيا، يعيش ويزرع ويجني من ثمرات الارض المأهولة، وان اول نبتة شقت طريقها بفعل يد الانسان، كانت قبل سبعة آلاف سنة في اريحا، وان البشرية تعرفت على الزراعة من هناك. انه لمن الطبيعي الا يرى ضيوف ايباك، او بلغة ادق، من اهل البيت الايباكي، شعبا آخر، غير شعب الله في فلسطين، فقد استمرأ القوم الخرافة، حتى احالوها واقعا يدب على الارض ولو ان المساجلة ما زالت في الاحقية التاريخية لقلنا بأن الاركولوجيا الفلسطينية (علم الآثار)، تقول بعائدية كنعانية كلها، وان الاركولوجية الاسرائيلية في فلسطين، اشبه ما تكون بأركولوجية البيوريتاني الانكليزي في ارض امريكا الشمالية! فعلى الرغم من ان علماء الاثار الغربيين، ظلوا يحملون المعول بيد والتوراة بيد اخرى، لقرن كامل، الا ان فلسطين رفضت ان تعطي اثارا غير اثارها. وحتى اليوم، فان يهودا والسامرة في المخيال التوراتي، اكثر منها في قيعان الارض الفلسطينية، وقد شاهدنا جناح فلسطين الاثري ـ التاريخي في متحف لندن، فلم نعثر الا على آثار كنعانية ـ عربية واسلامية وهي حقائق جلية، ارادت اكثرية مستشرقة طمسها بقوة لا علمية ولا تاريخية، ولان التاريخ يكتبه المنتصرون، فان اصطناع تاريخ مغاير لفلسطين كان من اولى المهمات الحساسة للعديد من علماء الاستشراق، فقد ظل هؤلاء في مهمة طليعية ثقافية ـ تاريخية تؤسس لقرن الاستعمار اللاحق.

لقد قامت اسرائيل اليهودية، على انقاض فلسطين العربية، بفضل روافع خارجية متشابكة بين مسيحية غربية (اورو ـ امريكية) تضع التوراة فوق الانجيل، وبين مصالح استعمارية كبرى، اجترحت الحل في توظيف الدين لصالح السياسة، وبهذا المعنى فان لاسرائيل ابوين في التاريخ، مسيحية متهودة مع الرواد الاوائل لشمال امريكا، ثم قرن استعماري غربي، منذ الرسالة الاولى التي وجهها نابليون الى يهود فلسطين (وهم الفا يهودي بين مئتي الف عربي مسلم ومسيحي). ولم يضع المركز الصهيوني العالمي الوقت مع نشوب الحرب الع